الفصل السابع

الوضع النفسى

والحاجة إلى الأمن

الوضع النفسى:

يقول تقرير أصدرته الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة فى فلسطين، أن حياة الكثير من الأطفال الفلسطينيين تغيرت فجأة بعد العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى، وأصبحوا يعيشون فى حالة من الرعب والخوف وعدم الشعور بالأمان والحماية. فهم ينامون، على صوت الرصاص، ويصحون على صوت المدافع والطائرات والقصف والتدمير، ويتوقعون فى أية لحظة، دخول صاروخ أو قذيفة أو رصاصة يطلقها الجنود الإسرائيليون أو المستوطنون إلى منازلهم، فتقتل أحدهم، أو آباءهم أو أمهاتهم. والبعض الآخر يعانى من كوابيس وأحلام مزعجة وخوف شديد، ويعانى بعضهم من التبول اللاإرادى فى الليل بسبب المخاوف الشديدة التى تكونت لديهم مما يشاهدونه أو يسمعونه من أحداث. ويضيف التقرير أن أطفال فلسطين نسوا كيف يلعبون كبقية أطفال العالم، وأصبح تركيزهم ينصب على جمع الحجارة لمواجهة الدبابة الإسرائيلية للدفاع عن كرامتهم وأرضهم. وأما الآباء فيمضون الليل وهم يفكرون فى مصير أبنائهم. كما أن سكان القرى يمضون الليل فى السهر والحراسة، خوفًا من مداهمة المستوطنين المنتشرين فى جميع مناطق الضفة الغربية وغزة لمنازلهم. كل ذلك يؤدى إلى الإرهاق وانعدام الراحة، فتجد الناس فى مشاحنات دائمة وبخاصة بين أفراد الأسرة، وبين الآباء والأبناء الذين يحاولون التمرد على قرارات الأهل، بعدم الخروج ليلاً، والذهاب إلى ساحات المواجهات.

إن ضرورة وجود الأسرة إلى جانب الطفل هو واقع أكد عليه مجمل العاملين فى مضمار الطفولة، وهذه الضرورة تصبح أكثر إلحاحا عندما يعيش الطفل ضمن وضعيات تهدد طمأنينته النفسية، كوضعية الحرب ومختلف مظاهر العنف المرافقة لها، وهذا ما أكدته أعمال "أنا فرويد" عند دراستها لسلوك الطفل الانجليزى خلال الحرب العالمية الثانية[1].

---

(١) كريستين نصار (١٩٩١). واقع الحرب وانعكاستها على الطفل. ص ٢٥ .

وإذا كان العنف المرافق للحرب تأثيره السلبى على كل إنسان راشد أو طفل فقد أكد معظم الباحثين فى هذا المضمار أن النتائج السلبية عند الطفل يمكن أن يقللها وجود الوالدين إلى جانبه نظراً لكونه لا يتأثر بمظاهر العنف التى تجرى من حوله إلا بمقدار ما تؤثر هذه المظاهر على والديه بشكل خاص، لأنهما بالنسبة له المرجع الأساسى المحدد لقدرته على الاحتمال، فهو يلعب ويلهو ماداما بجانبه، ويصرخ مرعوبا مفتشًا عنهما إذا كانا بعيدين عنه، ويرمى نفسه فى أحضانهما عند سماعه دوى المدافع والقصف.

إن تعرض الإنسان لخطر مفاجئ أو رؤية مشهد مفزع أو سماع خبر مفجع، تتسبب فى حدوث صدمة نفسية له تعرف Trauma وهى حالة من الضغط النفسى ذى المصدر الخارجى تتجاوز قدرة الإنسان على التحمل والعودة إلى حالة التوازن الدائم بعدها. فتجد الشخص يستعيد ذكرى التعذيب فى أثناء يقظته وكأنه شريط سينمائى أو يستعيده فى أحلامه، وكلما رأى أو سمع شيئًا يذكره بهذه الأحداث فإنه يشعر وكأنها تحدث فى اللحظة والتو.

وتؤكد نتائج الأبحاث العلمية أنّ ظروف الانتفاضة تضع الطفل الفلسطينى أمام عدد كبير من الخبرات الصادمة حيث شاهد الطفل القتل والتدمير، هذا بالإضافة إلى معاناته اليومية. وتجد تلك الخبرات الصادمة متنفسًا لها فى رسومات الأطفال وكذلك فى الألعاب المنتشرة بين الأطفال مثل لعبه "عرب، يهود" ولعبة "الشهيد"، فهذا يبيّن كيف يستطيع الطفل أن يوظف خياله فى تخفيف توتراته اليومية فى محاولة لتحقيق التكيف[1].

ويشير علماء النفس إلى أن الأفراد الذين يعايشون الاحتلال والأزمات، يكونون غالبًا أكثر عرضة للإصابة بالمشكلات المرتبطة بالصحة النفسية والعقلية أكثر من الأفراد الذين لا يعايشون هذه الخبرات، وحتى الأفراد الذين يخضعون لمثل

(١) سمير قوتة، تأثير الخبرات الصادمة وكيفية التقليل من مخاطرها.

هذه الأزمات يختلفون فيما بينهم فى مدى الأضرار النفسية والجسدية والعقلية التى يصابون بها، فهناك أفراد يملكون من القدرات النفسية والعقلية ما يجعلهم أشداء فى مواجهة الأزمات، وهناك آخرون لا يستطيعون تحمل المشاق النفسية فى مواجهة المحن والشدائد، فينهارون عند أول مواجهة لها، وقد تظهر هذه الفروق فى كيفية الاستجابة لظروف الأزمة والضغوط الحادة التى واجهها الأفراد أثناء فترة الغزو والاحتلال، وقد يستجيب الفرد للأزمة بصورة حادة أو بصورة معتدلة حسب مدى إدراكه لها كعنصر مهدد لحياته وحياة أسرته، وقد يستجيب فرد آخر لذات الأزمة على أنها موقف تحدٍّ لقدراته وإمكانياته الذاتية على المواجهة، ومن ثم يتصرف بصورة أكثر إيجابية لمحاولة مواجهتها والتغلب عليها.

لقد توصل "فروم"[1] من تحليلاته التاريخية إلى أن جوهر الوجود الإنسانى يكمن فى الوحدة والانعزال والاغتراب، وفى الوقت نفسه اعتقد "فروم" أن كل فترة من فترات التاريخ تميزت بعلو شأن الفردية **Individuality** فقد ناضل الناس وكافحوا من أجل تحقيق الحرية والاستقلال[2].

ويوضح "فروم" أن الانفصال الأساسى بين الحرية والأمن هو سبب هذه الأزمة الفريدة فى الحالة الإنسانية، فالإنسان يناضل من أجل الحرية والاستقلال، كما أن الشعور بالأمن حاجة نفسية ينبغى أن تشبع والإنسان ما يزال فى المهد صبيًا، وإشباع هذه الحاجة يعنى أن يتقدم الفرد نحو الحرية الإيجابية، وأن يتعلق بالعالم على نحو تلقائى بالحب والعمل. أما إذا لم يحدث ذلك وتقطعت الروابط

---

(١) إيريك فروم Erich Fromm (١٩٠٠ - ١٩٨٠) من أبرز علماء النفس، ولد فى فرانكفورت بألمانيا، وهو الابن الوحيد لأبوين يهوديين. درس علم النفس والاجتماع والفلسفة، وحصل على الدكتوراه من جامعة هيدلبرج عام ١٩٢٢ هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤ هروبًا من التهديد النازى، ثم رحل وزوجته إلى سويسرا واستمر فيها حتى وفاته.

(٢) أنظر بتوسع: إبراهيم عيد (٢٠٠٥). مقدمة فى الإرشاد النفسى، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

الأولية التى تمنح الإنسان بالأمن فإنه يبحث عن بدائل تمنحه الشعور بالأمن، وترد إليه الشعور بالقوة والأمان، هذه القوة قد تكون شخصًا أو مؤسسة أو إلهًا أو أمة أو ضميرًا أو قهرًا نفسيًا[1].

الحاجة إلى الأمن:

إن أهم عنصر يرتكز عليه استقرار المجتمع هو عنصر الأمان، فإن اختل الأمن اختل المجتمع، فكلمة الأمن والأمان والسلام والاطمئنان، من الكلمات التى تعشقها القلوب النقية والمشاعر السوية.

يقول الراغب الأصفهانى: "أمن: أصل الأمن طمأنينة النفس، وزوال الخوف"[2] وفى المعجم الوسيط: "أمِنَ: أمنا وأمانا وأمانة ... اطمأن ولم يخف، فهو آمن"[3] فالكلمة تشير إلى الاطمئنان والاستقرار وذهاب الخوف، وهى معان لها مكانتها السامية فى حياة الأفراد والجماعات والأمم؛ لأن الخوف والفزع والاضطراب فى الحياة الخاصة والعامة يؤدى إلى أشد أنواع الضرر والفساد والفوضى للحياة الإنسانية.

والإسلام إنما يحرص كل الحرص على أمن المجتمع ونظامه وسلامته؛ لأن هذا هو الطريق الوحيد الذى يكفل لجميع الأفراد أوفر قدر من السعادة والطمأنينة فى الحياة، باعتبار أن الجماعة هى مجموع الأفراد، لذا فإن الإسلام له موقف من الجريمة والعقاب يتميز به بين كل النُظم الأخرى، ويمسك فيه بميزان العدالة الحقيقية بالقدر الذى يمكن أن تتحقق فيه فى الدنيا، وقد جعل الإسلام للجرائم عقوبتين: عقوبة فى الآخرة، وعقوبة فى الدنيا، وقد وضع الشارع هاتين العقوبتين حتى يتآزر فى الزجر عن الجرائم وازع الديان ووازع السلطان.

---

(١) السابق، ص ١٠٨ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن، ص٢٥ .

(٣) المعجم الوسيط، جـ١، ص٢٨ .

ويلاحظ أن العقوبة الدنيوية لا توقع إلا إذا ثبتت الجريمة، والجريمة إنما تثبت بالإقرار أو الشهادة، وبغير ذلك لا تثبت، وما أكثر هؤلاء الذين يفلتون بجرائمهم دون عقوبة؛ لأن جرائمهم لم تثبت بإحدى طرق الإثبات المتاحة. أما العقوبة الأخروية فلا يفلت منها المجرم؛ لأن ثبوت الجريمة فى الآخرة لا يحتاج إلى طرق الإثبات تلك.

والعقوبات الدنيوية على ثلاثة أنواع: الحدود، والقصاص، والتعزيز. ولهذا كانت العقوبات التى اختصها الله بالتقدير - وهى الحدود - لا يُنظر فيها إلى مقدار الفعل المرتكب ولا إلى مقدار الأذى الشخصى الواقع على الآحاد فحسب، وإنما ينظر أيضًا فى تقديرها إلى الآثار المترتبة عليها، سواء القريبة منها أو البعيدة[1].

والأمن من أهم النعم التى ينعمها الله على الإنسان، وهى شعور الإنسان بالأمان على نفسه ودينه وأسرته، ومصالحه وأمواله، والاطمئنان بعدم وجود خطر عليها، وهذه النعمة تحتضن النعم الأخرى، وتحتويها، فمن دون نعمة الأمن لا يكون لنعمة المال والصحة والوقت سكن ولا قرار، فإذا انعدم الأمن فلا يتنعم الإنسان بماله ولا بصحته ولا بوقته، وإلى غير ذلك من النعم، لذلك ذكر الله تعالى أن الخوف الذى هو عكس الأمن من الابتلاءات التى يمكن أن يبتلى بها الإنسان فى حياته لينظر أيصبر أم لا، فقال جل ذكره: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾[2].

ونعمة الأمن هى غاية الإنسان العظمى فى الحياة، لأن مصالحه وأعماله وأرزاقه مرتبطة بها ارتباطًا وثيقًا، وإن معظم الثورات والصراعات القائمة بين بعض الشعوب والمحتلين لها كلها من أجل الحصول على هذه النعمة، وكف أيدى

---

(١) محمود مزروعة، أحكام الردة والمرتدين، ص٥٧ .

(٢) سورة البقرة: ١٥٥ .

الظالمين عن تخويفهم وإرعابهم، والشعوب الآمنة تملك الظروف المناسبة للإنتاج المادى والمعرفى، ورائدة لغيرها من الأمم التى تفتقر إلى هذه النعمة.

ولأهمية نعمة الأمن وعظم شأنها جعلها إبراهيم - عليه السلام - من أولى دعواته كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[1]، فقدم فى الذكر مطلب الأمن على مطلب التوحيد؛ لأن التوحيد لا ينتشر عند الناس إلا بالأمن.

قدم إبراهيم - عليه السلام - فى دعائه نعمة الأمن على غيرها؛ لأنها أعظم أنواع النعم، وإذا فقدها الإنسان اضطرب فكره، وصعب عليه أن يتفرغ لأمور الدين أو الدنيا بنفس هادئة وقلب خال من المنغصات. يقول الفخر الرازى: "والابتداء بطلب نعمة الأمن فى هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شىء من مصالح الدين والدنيا إلا به"[2].

ويحتاج الإنسان إلى أن يعيش فى بيئة توفر له الأمن والسلامة، وتحميه من مختلف المخاطر التى قد تؤذى كيانه الجسدى، أو النفسى؛ سواء كان فردًا أو جماعة، ومن أمثلة هذه المخاطر: التعرض للاعتداء، والقتل، والحوادث، والمخدرات، والسرقة والاحتيال، والتحرش الجنسى، إضافة إلى الحروب والفتن التى تخل بأمن الجماعات والأفراد. وتحتل الحاجات إلى الأمن طليعة الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع، لأن انعدام الأمن فى أشكاله المختلفة يهدد سلامتهما وبقاءهما معًا.

ويحتاج الإنسان السليم مهما كان سنه، وجنسه، وأصله، أن يكون آمنًا، حرًا، معافى، وذا هوية. وينتج عن عدم إشباع هذه الحاجات الأساسية مشكلات تختلف باختلاف فئة الحاجات التى تكون موضع سوء الإشباع؛ ومن هذه

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٢) أنظر: تفسير الرازى، ج٥ .

المشكلات: معاناة المواطنين وخاصة المدنيين، من عدم الاستقرار، والخوف، وانعدام الرعاية لأسباب مختلفة، منها: الحروب التى تحد من إمكانيات إنتاج المدنيين، ومن فرص اندماجهم فى الحياة الاجتماعية.

كما أن نقص الوسائل الكفيلة بتحقيق الراحة الاجتماعية الثقافية، وخاصة نقص مكونات الثقافة التى تسمح بالتعبير عن الشخصية وبالحوار والتعليم، يؤثر فى إمكانية الاستفادة من فرص التعبير والحوار التى تساهم فى بناء النضج الانفعالى.

لقد افترض "فروم" أن الصراع بين النضال من أجل الحرية والنضال من أجل الأمن هو أشد قوة دافعة فى حياة الناس، وأن أقوى الدوافع التى توجه سلوك الإنسان تنبثق من ظروف وجوده أو من موقفه الإنسانى من الوجود[1].

إن قراءة هرم "ماسلو" للحاجات الإنسانية وربطها بواقع الفرد الفلسطينى فى ظروف الاحتلال تجعلنا نتساءل كيف يمكن إشباع الحاجات البيولوجية على نحو كاف فى ظل الاحتلال والهيمنة على موارد المجتمع الفلسطينى والتحكم فى مرافقه ومؤسساته، وسياسة فرض الضرائب التى أحالت المواطن الفلسطينى إلى واحد من أكبر دافعى الضرائب فى العالم، وفى ظل شروط الملاحقة والاعتقال والإبعاد كيف يمكن أن يتحقق الأمن النفسى وهو فى تهديد مستمر.

لقد ورد فى تقرير للمجلس التنفيذى للمنظمة العالمية للصحة الصادر نهاية سنة ٢٠٠١ ما يلى: " تقع النزاعات المسلحة، خلال سنة ٢٠٠٠، فى المرتبة الحادية عشرة من سلم العنف المؤدى إلى الموت فى العالم". وذكر هذا التقرير: "أن ملايين الوفيات، والأعطاب الجسدية، والنفسية للعنف تترك نتائج سلبية على الصحة وعلى نفسية ضحاياه ومرتكبيه وشهود العيان على أنواع العنف". وأن الاضطرابات النفسية التى تظهر عند المدنيين أيام الحروب، والنزاعات كثيرة، ومتشابهة من بلد إلى آخر، ونلاحظ مجموعات أعراض نفسية هى:

---

(١) إبراهيم عيد، مرجع سابق، ص ١١٠.

حالات عصابية كثيرة جداً، تترجم بسلوكيات الخمول، وحالات نفسية بدنية. الحالات الانفعالية المرضية التى توجد فى وضعيات الكوارث. الصدمات والتوترات.

إن تأثير التجارب القاسية والأحداث الصدمية على الأطفال قد يفوق تأثيرها على الكبار، ويرجع ذلك إلى نقص نمو مهارات مواجهة الضغوط وآليات الدفاع بوصفها أساليب للتوافق مع المواقف الضاغطة ونتائجها، وكذلك إلى طبيعة الطفولة ذاتها، فالطفولة فترة حساسة بقدر ما هى فترة من التغيرات والتحولات الجذرية التى تنطوى على صعوبات ومشكلات تجعل الأطفال أكثر استهدافًا لاضطراب التوازن، ونقص التوافق مع الذات والمجتمع[1].

وفى تقرير "كريستيان سلنس" (٢٠٠١) حول ندوة صحفية "لمصطفى البرغوثى" ذكرت مأساة الطفل الفلسطينى الذى صار فى أنشطته الطفولية يقلد العنف، وآثاره، وذكرت أنّ الأطفال الفلسطينيين يلعبون لعبة دفن الضحايا، ويرسمون المآسى المتعلقة بالنزاع الذى يعيشونه، وهذا ما يخلق تخوفًا لدى الأسر الفلسطينية من تنامى جيل أكثر عنفًا ويأسًا، وإن هذا العنف المباشر يثير تخوف المختصين فى الطفولة الذين يتوقعون فى ظل استمرار العنف تزايد أعداد جيل أكثر وأكثر عنفًا، فاقد للأمل ومحروم من معالم الأمن والعدل.

ويتساءل "إياد زكوط" الطبيب النفسانى، المنسق لبرنامج غزة للصحة النفسية (برنامج غير حكومى) عن مصير الطفل الذى يشاهد العنف، ويلعب لعبة العنف، ويتحدث عن العنف، ويرسم رسوم العنف، وعن توازنه النفسى. وقد أحصى برنامج غزة للصحة النفسية فى منطقة خان يونس ٥٤ ٪ من الأطفال يعانون من

---

(١) يحيى فايز الحداد (٢٠٠٧). الحروب وآثارها النفسية على الأطفال. مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٦، عدد ٢.

اضطرابات نفسية و١٣ ٪ منهم يعانون من علامات العدوانية و ١٠ ٪ من الأمهات يعانين من الاكتئاب[١].

وقد عكست رسومات الأطفال خوفهم من القصف سواء البرى أو الجوى أو البحرى بالإضافة إلى بعض الصراعات اللاشعورية، كذلك وُجِدت علاقة ارتباط بين معاناة الأم والطفل أى كلما زادت معاناة الأم تزيد معاناة الطفل وتقل إمكانية تحقيق أى تقدم.

فالطفل الفلسطينى لم ينعم بأبسط حقوقه التى نصت عليها المواثيق الدولية، بل وعانى الطفل من ظروف استثنائية أثرت فى نموه النفسى، إذ أن الأطفال يحتاجون إلى فترة طويلة من الرعاية والحماية والشعور بالحب والأمان قبل أن يتمكنوا من توجيه حياتهم، فإذا ما توفر ذلك يستطيع الأطفال بناء رابطة التعلق أو الارتباط بالوالدين، وهذا الارتباط الآمن يعطى الأطفال الفرصة لأن يصبحوا أكثر استقلالية، فهو يستطيع أن يتحرك ويلجأ إلى الأسرة عند الحاجة كما يبدى الطفل اهتمامًا بالبيئة الاجتماعية المحيطة بدءاً من أقرانه الذين يحب أن يلعب معهم. وعندما يشعر الطفل بأن الوالدين والآخرين المحيطين به يتفاعلون معه بإيجابية فإن ذلك يؤدى إلى بناء نفسى سليم للطفل.

هذا المسار الطبيعى للنمو النفسى يحدث عندما ينشأ الأطفال فى ظل أسرة مستقرة توفر لهم الحب والأمن والنظام ومتطلبات أداء تناسب المرحلة العمرية للطفل. والحقيقة أن هذا لم يتوفر للطفل الفلسطينى، إذ لا يوجد أب أو أم لا يرغبان فى توفير كل وسائل الأمان والطمأنينة لأطفالهما، ولكن الأسر الفلسطينية عاشت ظروفًا صعبة، ووقف كل من الآباء والأمهات والمربين مذهولين أمام أصناف القمع التى تعرض لها أطفالهم، كما وقفوا حائرين أمام القلق الذى

---

(١) عبد العزيز الغازى، الآثار النفسية الناتجة عن الاحتلال والاعتداء على المدنيين. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

يتملكهم فى عملية البحث عن الوسائل التى يجب اللجوء إليها حفاظًا على سلامة أطفالهم وصحتهم النفسية. ويواجه الآباء مشكلة صعبة إذ أنهم يصبحون غير قادرين على حماية أطفالهم وهذا يؤدى بدوره إلى شعور نفسى سلبى لدى كل من الوالدين والأطفال، فمن جهة الوالدين ينمو الشعور بتأنيب الضمير، ومن جهة الأطفال تتغير نظرة الطفل إلى والديه على أنّهما مصدر الأمان فى هذا العالم مما ينعكس بدوره على النمو النفسى للطفل.

إنه من الطبيعى أن يتولد لدى هذا الطفل نوع من رد الفعل للتنفيس عن المشاعر التى تكونت بداخله ولولاها لما تداوت الجروح وأصبح من العسير تفادى عواقبها النفسية والمعنوية بينما هو فى أمس الحاجة للتعبير عما فى صدره وبأى أسلوب كان. إنّ تأثير الكبت على شخصية الطفل قد يفوق على المدى البعيد عواقب العنف الذى يحيطه من كل جانب. وفى بعض الأحيان تكون التجارب والمواقف أكبر من قدرة الطفل على التحمل، مما يجعل الأطفال يمرون بخبرات التوتر النفسى الشديد، وهذه التجارب تتمثل فى سجن الأب، أو ضربه أمام الطفل أو المداهمة الليلية وتكسير محتويات المنزل أو الإهانة.

فالشخص الآمن نفسيًا هو الذى يشعر بأن حاجاته مشبعة، وأن المقومات الأساسية فى حياته غير معرضة للخطر، ولذلك ربط "فرويد" بين الأمن النفسى والأمن البدنى وتحقيق الحاجات المرتبطة به حين يرى الفرد مدفوعًا لتحقيق حاجاته للوصول إلى الاستقرار، وعندما لا ينجح يشكل ذلك تهديداً للذات ويسبب الضيق والتوتر والألم النفسى. وهو ما أجمله النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه الترمذى: قال ﷺ: من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

ويؤكد جمهرة من علماء النفس أن هذه الصدمات قد تصاحبها حالات من الفوبيا المزمنة من الأحداث أو الأشخاص أو الأشياء التى رافقت وقوع الحدث، مثل: الجنود، صفارات الإنذار، الأصوات المرتفعة، الطائرات. وفى بعض الأحيان

يعبر الطفل عن هذه الحالات بالبكاء أو العنف أو الغضب أو الصراخ أو الانزواء فى حالات الاكتئاب الشديد، إلى جانب الأعراض المرضية مثل: الصداع والمغص وصعوبة التنفس، والتبول اللاإرادى، وانعدام الشهية للطعام، وقلة النوم، والكوابيس، وآلام وهمية فى حال مشاهدة أشخاص يتألمون أو يتعرضون للتعذيب، وفى حالة المشاهدة لحالات وفاة مروعة لأشخاص مقربين منه، أو جثث مشوهة، أو حالة عجز لدى مصادر القوة عند الطفل، مثل الأب والأم، يصاب عندها الطفل بصدمة عصبية قد تؤثر على قدراته العقلية[1].

فما موقف الفلسطينيين عامة والمقدسيين خاصة من قضية الموت؟ البعض يقبل عليه مضحيًا بنفسه فى سبيل الله، والبعض الآخر لم يحتمل ما شاهده من تعذيب وقتل لإخوانه فأصيب بما يسمى بقلق الموت. لقد كان رد الفعل لكل ما سبق هو تحويل هذه الأجساد إلى قنابل بشرية، البعض يرى أنها عمليات استشهادية لتحرير الأرض والمقدسات، والبعض الآخر يرى أنها عمليات انتحارية نتيجة للكبت والضغوط اللذان يعانى منهما المجتمع الفلسطينى!! فأين الحق فى ذلك؟ وما حقيقة الخوف من الموت والقلق منه؟ هذا هو موضوع الفصل القادم.

* * *

(١) غسان يعقوب (١٩٩٩). سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسى (اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة). بيروت: دار الفارابى.